السلطان محمود غازان وإصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة الإيلخانية خلال فترة حكمه (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م)

إعداد

دكتور/ يونس خضري محمود

أستاذ مساعد كلية الآداب – جامعة المنيا

مقدمة البحث

تمثل فترة حكم السلطان (محمود غازان) للدولة الإيلخانية في فارس والعراق، نقطة تحول فاصلة في تاريخها، وقد يعود ذلك لآمرين، الأول إعتناق السلطان محمود غازان للإسلام وما ترتب على ذلك من إنقطاع الروابط التي كانت تربط الدولة الإيلخانية ببلاط الخاقان الأعظم في الصين، وغدا الإسلام الدين الرسمي حتي إنهيار الدولة الإيلخانية سنة (٧٥٦هـ-١٣٥٥م).

وعلى الرغم من أن السلطان (**أحمد تكودار**) (٦٨١-٦٨٣هـ) قد إعتنق الإسلام قبل غازان لكن إسلامه لم يحدث أثراً كبيراً في دولته لوجود معارضة شديدة من أمراء البيت الإيلخاني ووفاته بعد أن تولي الحكم بعامين وبضعة أشهر.

والأمر الثاني، قيام السلطان (**محمود**) خلال فترة حكمة -حوالي تسع سنوات-بإجراء عدة إصلاحات إدارية ومالية وقضائية واجتماعية واقتصادية وخاصة بالجيش المغولي، تلك التي خلدت اسمه في تاريخ دولته وجعلته في مصاف العظماء.

ولما كانت تلك الإصلاحات قد شملت ميادين مختلفة، فقد اقتصرنا في هذا البحث على المجال الإداري والمجال المالي، لآن عرض كل الإصلاحات من شأنه أن يطيل صفحات البحث.

وعلى الله قصد السبيل.

السلطان محمود غازان واصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة الإيلخانيه خلال فترة حكمة (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م)

إعتلاء السلطان (محمود غازان) العرش (٦٩٤/١٢٩٤م): -

شهدت أواخر فترة حكم الإيلخان[١] **(كيخاتو)**[٢] **(٦٩٠-٦٩٤هـ/ ١٢٩١-١٢٩٤م)** تشكل جبهة معارضة ضده من بعض الأمراء المغول بسبب فساد حكمة، وأنتهاجه سياسة الفسق والفجور وإسرافه في تبذير أموال الدولة[٣] ناهيك عن عدم تمسكه بأحكام الياسا الجنكيزية[٤]، والتقاليد المغولية، وابعاد المغول عن المشهد السياسي والعسكري، وتزعم هؤلاء الأمير المغولي "بايدو"[٥] أمير بغداد والعراق.[٦]

ومما عجل بوقوع الصدام بين "بايدو" و"كيخاتو" أنه ذات مرة وبينما كان الإيلخان في حالة سكر، وفي حضرة بعض الأمراء المغول، ثار على "بايدو" واتهمه بأنه على رأس مخالفيه والمثير للفتن والدسائس وهدده بالقتل إن تمادي في تلك

---

[١] الإيلخان: معناه الخان التابع، وكان لقباً عاماً على هولاكو وخلفائه من حكام فارس. ينظر: د/ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٢١٩

[٢] كيخاتو: الإبن الثاني لأباقا خان، وأمه نوقدان من التتار، ينظر وشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ أبناء هولاكو خان إلى كيخاتو خان، ص١٧٠، ومعني كيخاتو، المدهش.

[٣] أبو الفداء: المختصر، ٢٦/٤ – البدليسي: شرفنامة، ١٢/٢

[٤] الياسا: كلمة مفعولية تعني حكم أو قاعدة أو قانون، ينظر: فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ص ٣٤٧، وعن قوانين الياسا ينظر المقريزي: الخطط، ٢٢٠/٢.

[٥] هو الأمير/ بايدو بن طوغان بن هولاكوخان، ينظر: رشيد الدين جامع التواريخ، تاريخ أبناء هولاكو، ص١٧٢.

[٦] عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ص٢٦٠.

الأفعال.[١] وكان رد "بايدو" على ذلك، كما ذكر ابن العبري. أن خاطب الإيلخان بقوله "يا ابن العاهرة"[٢].

وبإقدام الإيلخان على إتهام خصمة "بايدو" ببعض التهم وتوبيخه في حضرة الأمراء يكون قد وضع نفسه تحت ما لا تقره أحكام الياساً الجنكيزية، والتي تنص صراحة على أن أمراء البيت المغولي لا تهدر كرامتهم أمام غيرهم، وأن أجرم أحدهم يجتمع "القوريلتاي"[٣] الذي من حقه وحده تشكيل محكمة لبحث مشكلته، هذه المحكمة يحق لها ادانته ومجازاته وأن من ينعل ذلك يعاقب عقاباً صارماً.[٤]

ورغم أن الإيلخان شرع في استرضاء خصمه، والذي تظاهر بالرضا، إلا أنه أضمر العداء، وعقد العزم على الذهاب إلى بغداد – مقر حكمة – وهناك إتفق مع بعض الأمراء المغول على الخروج على الإيلخان وقتله والتخلص منه.[٥]

ووصلت تلك الأخبار إلى "كيخاتو" حيث شرع ومعه وزيرة " صدر الدين أحمد الزنجاني"[٦] – ت "٦٩٧ه / ١٢٩٧م" في الاستعداد لملاقاة خصمة، وذلك بأن جهز جيشاً لقتال "بايدو" تحت قيادة إثنين من قادته هما: "أقبوغا" و" طغاجار" على أن يلحق بهما الإيلخان على رأس جيش آخر لقتال المتمردين عليه.[٧]

---

[١] د/ عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص١٨٦.

[٢] ابن العبري: تاريخ الأزمنة، ص ٢١٢

[٣] القوريلتاي: مجلس شوري المغول يجتمع فيه الأمراء المغول وكبار القادة لماقشة الأمور المتعلقة بالإمبراطورية. ينظر الجويني: عطا ملك، تاريخ جهانكشاي، ١٧٥/١

[٤] د/ عبدالسلام فهمي: مرجع سابق، ص١٨٧.

[٥] ابن العبري: مصدر سابق، ص ٢١٢.

[٦] كان يلقب بصدر جهان، ينظر: خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٦.

[٧] وشيد الدين: تاريخ أبناء هولاكو، ص ١٨٦.

ووقع التال بين "بايدو" وأنصاره، وطلائع جيش الإيلخان، وكان النصر في البداية في صالح جيش "كيخاتو" ثم تغيرت دفة المعركة لصالح "بايدو" بسبب خيانة الأمير "طغاجار" للإيلخان وانضمامه الى خصمه، وذلك بعد ان افلح "بايدو" في استمالته.[١]

وهكذا حاقت الهزيمة بجيش "كيخاتو" فلما علم بذلك عول علم الهروب من "تبريز"[٢]العاصمة إلى "موغان"[٣] إلى أن الأمراء المغول قبضوا عليه وقتلوه في "السادس من جمادي الأولي ٦٩٤هـ/ الرابع من إبريل ١٢٩٤م" وأرسلوة ببشارة النصر ومقتل الإيلخان إلى " بايدو".[٤]

وبعد مقتل "كيخاتو" اجتمع "القوديلتاي" برئاسة "طغاجار" بالقرب من همدان، حيث تقرر في هذا الاجتماع تنصيب "بايدو" حاكماً على الدولة الإيلخانيه وذلك في سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م.[٥]

وأراد "الإيلخان الجديد، أن يبرر للرأي اعام في دولته سبب خروجه على "كيخاتو" فأصدر مرسوماً أرسل إلى الأطراف في الدولة الإيلخانيه جاء فيه "إن كيخاتو كان لاهياً عن شؤون الدولة دون اعتبار للياسا الجنكيزية فأقصيناه"[٦] ثم شرع بعد ذلك

---

[١] خواندمير: تاريخ حبيب السير في اخبار أفراد بشر، ١٣٩/٣.

[٢] تبريز: من أشهر مدن آذربيجان، ينظر: مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ١٢٠، القزويني: آثار البلاد وآخبار العباد، ص ٣٣٩

[٣] موغان: مدينة بآذربيجان، ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ٢٢٥/٥.

[٤] ميرخواند: روضه الصفا، ٣٦٣/٥، خواندمير: حبيب السير ١٣٩/٣.

[٥] حسن الأمين: المغول بين الوثنية، والنصرانية والإسلام، ص٢٧٨ – عباس إقبال: مرجع سابق، ص٢٦١.

[٦] عباس إقبال: مرجع سابق، ص ٢٦١

في ترتيب أركان دولته، وأصدر "برليغات"[١] جديدة بغية إحياء الياسا وتجديد قوي المغول.

وهكذا أصبح "بايدو" الإيلخان السادس من عمر الدولة الإيلخاية، وقد حكم في الفترة من (جمادي الأولي – ذو الحجة ٦٩٤هـ/ مارس – أكتوبر ١٢٩٤م)[٢]

الصراع بين غازان" وبين "بايدو":-

لم يكد "بايدو" يتولى العرش الإيلخاني، حتي نازعة فيه الأمير "غازان" أمير خراسان من قبل أبيه "أرغون خان" ت (٦٩٠هـ) والذي عظم فيه ما حدث لعمة "كيخاتو" وناصره في ذلك الأمير "نوروز"[٣] أحد أمراء المغول والذي كان قد أسلم وحسن إسلامه.[٤]

وأرسل "غازان" إثنين من أتباعه إلى الإيلخان لتذكيره بأن قتل أمراء الأسرة الجنكيزية بيد الغير أمر يستوجب العقاب طبقاً للياسا، وأنه ينبغي على "بايدو" أن يلقي القبض على قتلة "كيخاتو" ومعاقبتهم جزاء ما اقترفوه من إثم.[٥]

وعزم "غازان" على قتال "بايدو" – بإيعاز من الأمير "نوروز" – خاصة بعد أن لجأ إليه عدداً من جنود عمه – كيخاتو – المقيمين في "مازندران" فلما استشعر الإيلخان وتيقن من نيه "غازان" لقتالة أرسل إليه الأمير "طغا جار" وغيره من الأمراء على رأس جيشاً لصده، والتقي الجمعان في شهر.

---

[١] جمع يرليغ وهو الأمر الملكي أو المرسوم، ينظر: القلقشندي: صبح الأعشي، ٣٢٤/٤.

(7) Gnousset, Rene: L`Empire des steppes, p,473.

[٣] هو الأمير "نوروز آرغون" حاكم بلاد فارس من قبل المغول قبل مجيء هولاكو، ينظر: د/ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين، ص٧٠.

[٤] حسن الأمين: مرجع سابق، ص ٢٧٩.

[٥] عباس إقبال مرجع سابق، ص ٢٦٢.

رجب سنة (٦٩٤هـ) في منطقة "قربان شيرة" بالقرب من قرية "شير جيران[١]" في ولاية مراغة، [٢]، ولما قرأ "بايدو" أثار الهزيمة على جباه قادة جيشة، أرسل إلى "غازان" يطلب الصلح حتي لا تقع مذبحة بين أفراد الأسرة الواحدة، فوافق على ذلك، وتم الاتفاق على ألا يقدم أي منها على حشد الجيش ضد الأخر، وأن يترك "بايدو" لغازان" كرمان والعراق وإقليم فارس، وأن يرسل الموظفون عوائد أملاك تلك المناطق إلى "غازان" وأن يتم تتويج "بايدو" مرة أخري في اليوم التالي وإعلان زوال الغمة على الملأ في احتفال ضخم.[٣]

وعلى الرغم من هذا الاتفاق، فإن أياً من جنود الطرفين وأمرائهم لم يشعر بإرتياح، وأخذ كل طرف يتربص بالأخر للخروج من هذا الموفق المائع، وحدث في ذلك الوقت أن اعتنق "غازان" الإسلام في يوم "الجمعة الرابع من شعبان سنة ٦٩٤هـ/ التاسع عشر من يونيو ١٢٩٥ن" بوحي من "نوروز" وتسمي باسم "محمود غازان"[٤]

وبعد إسلام "غازان" عادت أجواء الحرب تسيطر على الطرفين من جديد، وكان مبعث ذلك ان مسؤولي إقليم فارس إمتنعوا عن أداء عوائد هذا الإقليم إلى "محمود غازان" حسب الاتفاق السابق، وكان ذلك سبباً في إثارة غضبه، وزاد من إصراره

---

[١] إلى الغرب من منبع نهر "قزل أوزن" في ولاية مراغة، ينظر عباس إقبال: مرجع سابق، ص ٢٦٦.

[٢] عن مراغة ينظر، القزوني: مصدر سابق، ص ٥٦٢.

[٣] عباس إقبال: مرجع سابق، ص ٢٦٣.

[٤] عن إسلام "غازان" ينظر: رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ١٢١ – ١٢٤ – خواندمير: حبيب السير، ٣/ ١٤٤ – حسن الأمين: مرجع سابق، ص ٢٨٢، وأيضاً

Grousset: L`Empire des steppes, p, 375.

على مهاجمة آذربيجان – مقر الإيلخان – فساد أمر "بايدو" ومعارضة أمراء المغول له في الخفاء.[١]

وعلى الطرف الآخر، بدأ أتباع "بايدو" ينشقون عليه، وعلى رأسهم الوزير" صدر الدين"(٢) الذي أرسل رسالة إلى "غازان" جاء فيها "أنه لو تحرك صوب آذربيجان، فإن أغلب الأمراء الأقوياء سيساندونه في القضاء على "بايدو"[٣]، وأيضاً، ممن انشق على "بايدو" القائد "طغاجار[٤]" وتحالف سراً مع "محمود غازان"[٥]

وعندما أدرك "محمود غازان" أن الوضع في صالحه، وتيقن من ضعف مركز خصمة، تحرك على رأس جيش إلى آذربيجان في (شوال ٦٩٤ه) فلما استشعر "بايدو" ذلك هرب إلى أوجان ومرند[٦] ثم إلى كرجستان إلا أنه وقع في قبضة الأمير "نوروز" قائد جيش "غازان" حيث قبض عليه بالقرب من "نخجوان"[٧] وأرسله إلى "محمود غازان" الذي كان في ذلك الوقت في "أوجان" وذلك في "ذي القعدة ٦٩٤ه/ أكتوبر ١٢٩٤م".

---

[١] عباس إقبال: مرجع سابق، ص٢٦٣

[٢] يرجع سبب إنشقاق صدر الدين بايدو إلى عزلة من الوزارة وارساله لحكم بلاد الروم، ينظر: خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٨.

[٣] وصاف الحضرة: تاريخ وصاف، ٣٢١/٣.

[٤] يرجع بسبب انشقاق "طغاجار" على "بايدو" ادراكه بضعف مركز "بايدو" أمام خصمة "غازان" عباس إقبال: مرجع سابق، ص ٢٦٣.

[٥] عباس إقبال: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

[٦] مرند: من مشاهير مدن آذربيجان، ينظر: ياقوت، مصدر سابق، ١١٠/٥.

[7] Grousset: L`Empire des steppes, p,475.

وبعد مقتل "بايدو" دخل "محمود غازان" تبريز في العاشر من ذي الحجة سنة ٦٩٤ ه/ أكتوبر١٢٩٤م) وكان في استقباله الوزير "صدر الدين" وأشراف المدينة وعلمائها، وجلس على عرش الإيلخانية في تلك المدينة[١].

ويعتبر عهد السلطان "محمود غازان" مرحلة فاصلة في تاريخ الدولة الإيلخانية، فقد انتهت فترة حكم السلاطين الوثنيين كما انقطعت الروابط اتي كانت بين الدولة الإيلخانية وبين بلاط خاقان المغول الأعظم في الصين، لذلك لا عجب في أن نجد المؤرخ "ابن الفوطي"[٢] ت(٧٢٣ه/ ١٣٢٣م)" يلقب "محمود غازان" يلقب القآن.[٣]

وقد أقدم "محمود غازان" خلال فترة حكمة القصيرة – تسع سنوات – على القيام بسلسلة من الإصلاحات في مختلف ميادين الحياة، إدارية مالية، قضائية، اقتصادية، اجتماعية خلدت اسمه ورفعت منزلته بين الكبار القادة المصلحيين.

ولما كانت جوانب تلك الإصلاحات متعددة، فقد أثرنا تناول الإصلاحات الإدارية والمالية في الدولة الإيلخانية في عهد حكم السلطان "محمد غازان" لأن عرض كل جوانب الإصلاحات من شأنه أن يطيل البحث.

<u>الإصلاحات الإدارية والمالية في عهد السلطان "محمود غازان"</u>

قبل أن نعرض تلك الإصلاحات يجدر بنا ان نتعرف على الدوافع التي دفعت السلطان الإيلخاني للقيام بها، والتي تتخلص فيما يلي: –

---

[١] رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص ١٢٨، وأيضاً: -

Grousset: L`Empire des steppes, p,375.

[٢] ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص ٤٩٠.

[٣] أي ملك المغول، د/ حسن الباشا، مرجع سابق، ص ٤٢٣.

دوافع سياسية:-

تعرضت الدولة الإيلخانية في عهد "كيخاتو" لعدة ثورات وحركات تمرد في مناطق متعددة من ولايات الدولة، كان من أهمها تمرد حاكم يزد[١] الأتابك" يوسف شاه" – حكم من (٦٦٢-٦٩٠هـ)- إلا أنه مني بالهزيمة وعفا عنه الإيلخان "كيخاتو" وأبقاه في الحكم، كذلك قام حاكم "لورستان"[٢] الأتابك "أفرا سياب" حكم من سنة (٦٨٨-٦٩٥هـ) بثورة ضد الحكم الإيلخاني بهدف الانفصال عن الدولة خاصة بعد أن انضم إليه أهل أصفهان، لكن ثورته انتهت بالهزيمة واعتذر للإيلخان عما بدر منه، فصفح عنه[٣].

ومع أن هذه الثورات كانت تبوء بالفشل، لكنها كانت تؤدي إلى عرقلة أمور الناس مسببه المتاعب للدولة.[٤]

رغبة السلطان "محمود غازان" في السيطرة على دار الإسلام:-

عندما إعتلي" محمود غازان" عرش المغول في فارس، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة، قضي على الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين بسبب اختلاف الدين، وقد اتخذ لنفسه بعد اعتناقة الإسلام لقب "باد شاه اسلام" أي سلطان الإسلام" كما سمي عاصمته "تبريز" شهر إسلام" أي مدينة الإسلام، وبذلك عبر عن رؤيته لنفسه ودوره باعتباره الحاكم الأعلى بدار الإسلام كلها، ورغب في السيطرة على دار الإسلام عن طريق مهاجمة النظام المملوكي في الشام ومصر

---

[١] يزد: مدينة بين نيسابور وشيراز واصفهان، في إقليم فارس، ينظر: ياقوت: مصدر سابق، ٤٣٥/٥.

[٢] لورستان: كوره واسعه بين خوزستان وأصفهان. ينظر: ياقوت: مصدر سابق، ٢٥/٥.

[٣] عباس اقبال: مرجع سابق، ص٢٥٥.

[٤] د/ شيرين بياني: المغول التركيبة الدينية والسياسة، ص ٣٠١.

واسقاطه وتوحيد الامة الإسلامية والسلطة حت سيطرته حسب الايديولوجيا السُنية القائلة بوحدة الامة ووحدة دار الإسلام.[١]

الانهيار المالي:-

شهد عهد "كيخاتو" إنهيار مالية الدولة بسبب اسراف الايلخان الذي كان يبدد الذهب والفضة والجواهر النفيسة باعتبارها زينة للنساء، كما كان يهب الكثير الي حد الافراط[٢].

ولم يقتصر ذلك على الايلخان، بل شاركه في التبذير والإسراف وزيره "صدر الدين الزنجاني" الذي كان ينفق الأموال الطائلة في سبيل استمالة قلوب الناس إليه، وتجاوز كرمة كرم "الإيلخان" فلا عجب في ذلك أن يلقبه خواندمير بحاتم الطائي.[٣] وقد بلغ الانهيار المالي إلى حد عدم توفر المالي اللازم لشراء رأس من الأغنام للمطبخ الإيلخاني.[٤]

ومما زاد من سوء الأوضاع المالية أن الوزير[٥] وبعض الأمراء اقترحوا على الايلخان عدم التعامل بالعملة الذهبية والفضية وأن يتم التعامل بعملة "الجاو"[٦]

---

[١] دوروتيا كرافولسكي: العرب وإيران، ص ١٨٩.

[٢] البدليسي: شرفنامه، ١٢/٢، حسن الأمين: مرجع سابق، ص ٢٧٢.

[٣] خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٨.

[٤] البدليسي: مصدر سابق، ١٢/٢ – فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين، ص ٧٠.

[٥] صاحب هذا الاقتراح على الوزير هو "عزالدين محمد بن المظفر بن العميد" أحد مستشارية، البدليسي، مصدر سابق، ١٣/٢ –حسن الأمين: مرجع سابق، ص٢٧٣.

[٦] كانت الجاو الجديدة عبارة عن قطعة من الورق على شكل مستطيل كتبت على طول حواشيها الأربع كلمات بالخط الصيني، وفي طرفي أعلاها الشهادتان وأدني قليلاً الي أسفل كلمة "ايرنجين تورجي" وهي لقب كيخاتو بالمغولية، وفي وسطها رسم دائرة، ورقمت عليها قيمتها: وهي من نصف درهم الي عشرة دنانير، وكتبت عليها هذه العبارة: –

الورقية تلك التي كانت تتداول في بلاد الصين، رغم معارضة بعض الأمراء الذين[١] أوضحوا أن الجاو سوف يكون سبباً في خراب البلاد وإختلال أحوال الجند والرعية وكساد التجارة، إلا أن الايلخان قبل الاقتراح وأمر وزيرة بإعداد الجاو على الفور، وقد أدي ذلك الي جمود في حركة التجارة، مما أرغم " كيخاتو " على التراجع عن تلك الخطوة[٢]

الفساد الإداري:-

أسند "كيخاتو " الوزارة الى الوزير " صدر الدين أحمد الزنجاني"[٣] وأسبغ عليه لقب " صدر الدنيا " وأصدر الايلخان فرمانا ينص على وجوب إمتثال أوامر صدر الدين من قبل جميع الخواتين وعهد إليه ختما ذهنيا وتومانا [٤] من الجيش، ولم يحدث من قبل أن جمع الوزير في الدولة الايلخانية بين القيادة المدنية وبين القيادة العسكرية، بالإضافة الى ذلك، عهد "كيخاتو" الى أخي الوزير " قطب الدين الخالدي" بمنصب قاضي القضاة وإدارة أوقاف المسلمين في فارس كلها ولقب

"أجري ملك العالم هذا الشاو المبارك في الممالك في تاريخ سنة ٦٩٣ه، من غير وبدل فيه قتل هو وزوجته وولده، وصودر ماله وحول الي الديوان"

ينظر: خواندمير: حبيب السير، ١٣٧/٣.

وعن الجاو في الصين ينظر الي ماركوبولو: رحلات ماركو بولو، ٦٤/٢- ٦٥.

[١] من هؤلاء الأمير المغولي "بولاد جنكسانك" ينظر: خواندمير: حبيب السير، ١٣٧/٣.

[٢] ابن الفوطي: مصدر سابق، صـــ٤٧٧.

[٣] يعرف أيضا بصدر الدين الجاوي إشارة الى عملة الجاو. ينظر: فؤاد الصياد مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين، صـــ٨٤.

[٤] التومان، عدد قدره عشرة آلاف ينظر:فؤاد الصياد، نفسه ص٦٨.

باسم " قطب جهان"[١] وهكذا باتت أمور الحكم والدولة تدار من قبل عائلة الزنجاني.[٢]

ولم يكن الوزير على قدر المسئولية والكفاءة الإدارية، فلما شكا الأمراء والعمال المغول من فساد الوزير الى الايلخان لم يكترث لأقوالهم، بل هدد بقتل كل من يذم الوزير وأصحاب الديوان.[٣]

دافع ديني:-

بعد ان إعتنق غازان الإسلام أخذ على نفسه بأن يعمل بتعاليم هذا الدين الحنيف ما استطاع الى ذلك سبيلا، وفى هذا المعني يقول " حتي يتحقق الرفقاء من شدة عنايتنا وإهتمامنا باستقامة أمور الدين[٤] ولقد صدق المستشرق " إدوارد براون " حين قال على الرغم من أن غازان لم يكن أول سلطان مغولي يعتنق الدين الإسلامي، فإنه في الحقيقة كان أول شخص يعيد الى هذا الدين الحنيف عظمته وجلاله."[٥]

الهدف من إقدام غازان على الإصلاحات:-

اما الهدف من قيام السلطان محمود غازان " بتلك السلسلة في مجال الإصلاحات في مناحي الحياة المختلفة فقد كشف عنه بقوله " ان كل أنظارنا وهممنا السلطانية متجهة الى رفاهية أحوال الرعايا وجميع الخلق ونشر العدل والصدق فيما بينهم

---

[١] خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٨.

[٢] خواندمير: نفسه،ص٣٦٩.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٢٨٤.

[٤] خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٦٨.

[٥] إدوارد براون: تاريخ الآداب في إيران من الفردوس الى السعدي، ص٥٦٦.

وإقامة الاعمال الخيرية، ونريد ان نزيل من سكان العالم الظلم والجور والبدع والاكاذيب التي انتشرت آمادا مديدة بين الخلق."[١]

إصلاحات السلطان محمود غازان " الإدارية":-

بتتويج السلطان " محمود غازان حاكماً على دولة المغول الايلخانية تدخل تلك في مرحلة جديدة من تاريخها، لها سمات خاصة بها، فقد شرع في إدخال عدة إصلاحات على النظم الإدارية التي كانت بها، ومن تلك نظام البريد، نظام منح البايزات، نظام إصدار المراسيم، وهذا ما سوف نعرض له:-

أولا:- نظام البريد (اليام – YAm) المغولي [٢]

اختلفت الآراء في أصل كلمة البريد ومدلولها، فالبعض يري ان أصلها عربي مشتق من برد او ابرد بمعني أرسل[٣] ومن يري انها مأخوذة من الكلمة اللاتينية (veredus) والتي تعني الدابة التي يركبها العامل في نقل مكاتبة من مكان لآخر[٤] في حين ان البعض يذكر أن أصول تلك الكلمة فارسية من (بريده دم) أي مقصور الذنب وذلك لأن الفرس كانوا يقصون ذواب دواب البريد ليتميز ذلك عن غيرها من الدواب الاخري.[٥]

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٢٥.

[٢] عن نظام البريد، المغولي الذي وضعه جنيكز خان، ينظر: هارولد لام: جنكيزخان وجحافل المغول ص١٢.

[٣] القلقشندي: صبح الاعشي، ٣٦٦/٤.

[٤] ينظر د/ نظير سعداوي نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص١٩.

[٥] د/ نظير مسعداوي: مرجح سابق، ص٢٠

ويرجع اهتمام المغول بنظام البريد الى أيام جنيكز خان(ت ٦٢٤ه/١٢٢٧م) وسبب هذا الاهتمام إتساع رقعة الإمبراطورية في عهده ورغبة المغول في أن يكونوا على صلة مستمرة بعضهم ببعض، لكي يكونوا على علم بكل ما يحيط بدولتهم.[١]

كذلك شهد عهد الامبراطور المغولي (أوكتاي خان) ت(٦٣٩ه/١٢٤م) إهتماما بنظام البريد يهدف تسهيل إنتقال مبعوثي الامبراطور وحاملي رسائله[٢]

وإستحوذ الاهتمام بشؤون البريد جانبا كبيراً من إصلاحات الامبراطور " منكوخان" ت (٦٥٧ه / ١٢٥٩م) الذي وضع عدة ضوابط للحد من نفوذ الرسل ومبعوث الأمراء والذين كانوا يغتصبون دواب الناس في الطريق.[٣]

ولما تقلد السلطان " محمود غازان" حكم الدولة الايلخانية، وشرع في إصلاحاته المختلفة، نال نظام البريد جانبا كبيرا من تلك الاصلاحات إذ أنه قبل عهده تطرق الفساد الى البريد، إذ إعتاد جميع الأمراء والقواد وحكام الولايات على إيفاد الرسل لإنجاز المهام الخاصة بهم، وكان هؤلاء الرسل مع كثرة عددهم – يرتكبون عدة تجاوزات في طريقهم منها أنهم كانوا يستولون على قطعان المغول التي كانت ترعي في المصايف والمشاتي، وكانوا ينزلون جميع أفراد القافلة والمسافرين القادمين من بلاد الهند والصين والجهات النائية ويستولون على خيولهم ويتركونهم على قارعة الطريق.[٤]

ومما يدل على إنتشار الفوضى والفساد في نظام البريد ان اللصوص كانوا يظهرون في طرق البريد على هيئة رسل، ويقفون على قارعه الطريق قائلين إننا

---

[١] هارولد لام: مرجع سابق، ص١٢٠

[٢] الجويني: مصدر سابق، ٦٧/١

[٣] رشيد الدين: تاريخ خلفاء حبنكيزخان، ص٢١٦.

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣١١.

رُسل، ثم يستولون على خيول الرسل، كذلك كانوا يستلون على ما معهم من مراسيم.[١]

وبسبب تردي الخدمات في محطات البريد، كان الرسول الذي يخرج لأداء مهمة دقيقة تخص مصالح الدولة، كان لا يستطيع الوصول الى الجهة المقصودة الا بعد فوات الوقت بيوم او اثنين مما يترتب على ذلك التأخير الاضرار بمصالح الدولة، بالإضافة الى ذلك شرع حكام الولايات في فرض مبالغ من الأموال على الرعايا بحجة تجهيز محطات البريد ومعالجة قصور الخدمات بها الا انه في الحقيقة كانوا يستولون على تلك الأموال لأنفسهم. [٢]

ولما لمس السلطان "محمود غازان" تلك التجاوزات في نظام البريد عول على إصلاح ذلك، حيث قال " إن أمراً إستفحل ضرره بالتدريج حتي وصل الى هذا الحد واعتاده الناس جميعا، لا يمكن القضاء عليه دفعه واحدة، وإنما علاجه يتيسر عن طريق التآني.[٣]

ومن ذلك، شرع في العام الأول من حكمه في اتخاذ الإجراءات التالية:-

بعد أن كان في كل طريق – من طرق البريد المختلفة – عدة محطات للبريد في موضع واحد، امر بأن تكون هناك محطة واحدة تفصلها عن الأخرى ثلاثة فراسخ[٤] وهذه المحطة يرابط فيها خمسة عشر حصانا سمينا ويقل هذا العدد في بعض المحطات حيث لا تدعو الحاجة الى ذلك.

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان ص٣٠٩.

[٢] خواندمير: حبيب السير، ١٧٢/٣.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان، ص٣١٢

[٤] الفرسخ: يعادل ثلاثة اميال والميل حوالي ٢كجم ينظر: هنتس: مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.

قام السلطان " محمود غازان " بإلغاء محطات البريد الأخرى والتي بلغ عـــددها – على حد قول رشيد الدين – عشرة آلاف محطة [١] وبذلك عادت نفقات المحطات الملغاه الى خزينة الدولة.[٢]

أمر ألا يمتطي جواد البريد أي شخص إلا إذا كان رسولاً حتـــي يتميـــز هـــؤلاء الرسل عن الأخرين ويصلون إلى مقصدهم سريعا.

عهد بكل محطة من محطات البريد إلى أمير كبير يشرف على إدارتها بعد أن زاد من نفقات المحطات، حتي لا يدعي أحد بأن النفقات قليلة لا تكفي الخدمات ويختل العمل بها.

اصدر فرمانا يقضي بألا يرسل أي مخلوق رسولاً إلا أن يكون من قبل السلطان، كما أصدر فرماناً أخر ينص على أنه إذا أوفد شخص رسولاً – لمصلحته الخاصة – إلى إحدي الولايات فإنه لا يعطي علفاً للجواد، وعلى حكام الولايات أن يعتقلوا هذا الشخص، وبذلك تم القضاء على ظاهرة إيفاد الرسل للمصالح الخاصة. [٣]

وفى العامين الثاني والثالث من عهد السلطان" محمود غازان" أكمل اتخاذ إجراءاته من أجل إصلاح نظام البريد، وقد تمثلت تلك في

أمر بأن يعطي كل رسول للبريد نفقات السفر له نقدا من الخزانة، وبذلك إختلفـــت ظاهرة فرض الضرائب على الرعايا من أجل تغطية نفقات سفر رســـل البريـــد، وذلك في الولايات المختلفة.

ولما كانت هناك رسائل مهمة تتعلق بأمور الولايات، ويجب أن تصل بسرعة الى مقصدها، أمر السلطان بأن يكون في كل محطة من محطات البريد شخصين مـــن

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣١٢.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٣١٢.

[٣] خواندمير: حبيب السير، ١٧١/٣.

السعاة يتولون إرسال الرسائل المهمة ويكتبان على الرسالة عبارة تفيد بأن الرسالة أرسلت من الموضع الفلاني الى الموضع الفلاني. [١]

تلك كان الإجراءات التي اتخذها السلطان " محمود غازان"

في عهده من أجل إصلاح نظام البريد، ولكن ما هي الفوائد التي عادت على الرعايا والدولة جراء تنفيذ تلك الإجراءات الإصلاحية؟

ترتب على إصلاح نظام البريد في عهد " محمود غازان" عدة نتائج:-

سرعة وصول الرسل الذين يحملون رسائل تتعلق بأمور دقيقه تخص مصالح الدولة.

القضاء على ظاهرة فرض الضرائب في الولايات على الرعية بحجة سداد نفقات الرسل.

نشطت حركة التجارة، وغدا التجار آمنين على أموالهم أثناء سفرهم، كما أن البضائع الصادر منها والوارد أصبحت آمنه في الطرق بعد أن كانت تتعرض لهجمات اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يظهرون على هيئة رسل البريد.

عمرت خزانة الدولة بعد أن آلت إليها النفقات التي كانت تنفق على محطات البريد الكثيرة الانتشار قبل عهد غازان والتي تم إلغائها والتي كانت تقدم خدمات سيئة لرسُل البريد. [٢]

---

[١] وصاف: تاريخ وصاف، ص٣٨٧.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣١٤.

ثانياً:- نظام منح المراسيم [١]

المجال الثاني من الإصلاحات الإدارية التي اقدم عليها السلطان " محمود غازان " يتمثل في نظام منح المراسيم وتفصيل ذلك:-

قبل عهد السلطان " محمود غازان " وفى فترات الضعف التي إنتابت الدولة الايلخانية، كان السلاطين والأمراء وأصحاب النفوذ يصدرون المراسيم حسب مصالحهم الشخصية، وكانت الرشوة تجد طريقها الى هؤلاء، حتي اذا ما أتي الى الحكم سلطانا أخر واراد ان يجمع تلك المراسيم، فإنه كان يرسل رسلا لجمعها من الولايات المختلفة، وهذا كان يكلف الدولة أمولا كثيرة، بالإضافة الى ذلك فإن الشخص صاحب المرسوم، وحتي لا يسحب منه كان يدفع الكثير من أجل المحافظة عليه، وحتي لا يبدو في نظر الناس حقيراً[٢]

ولما لم يكن هناك قانونا ينظم إصدار المراسيم، وكان من الممكن أن يكون مع الشخص الواحد خمسون مرسوماً حصل عليها بطرق مختلفة على رأسها الرشوة، وكان صاحب المرسوم يزور في مضمونه عن طريق رشوة الكاتب بما يتوافق مع مصلحته، وبسبب تلك الكثرة والتزوير، كان اذا حدث خلاف في قضية معينة وأراد القضاة أن يفصلوا فيه ويصدرون حكما قاطعا، كان يختلط عليهم الأمر لكثرة ما بيد كل واحد من تلك المراسيم[٣]

---

[١] المراسيم: الأوامر التي تصدر من الخان او من الإيلخان المغولي، أو ممن كان لهم التفويض في إدارة شئون الملك والولاية ينظر: رشيد الدين: تاريخ غازان، ص ٣٣٤. ويطلق عليها بالمغولية، اليرليغات . ينظر: القلقشندي صبح الاعشي، ٤٢٣/٤.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٣٤.

[٣] خواندمير: حبيب السير، ١٨٤/٣.

ولما شرع السلطان " محمود غازان " في إصلاحاته الإدارية، ووقف على امر الفوضى في إصدار المراسيم، قرر إصلاح هذا النظام في سنة ٦٩٧هـ وقد شمل **الإصلاح نوعين من المراسيم:-**

الاولي:- تلك التي كانت قد صدرت قبل ان يتولى الحكم، وخلال الثلاث سنوات الاولي من فترة حكمة، حيث لم تكن أمور الدولة قد استقرت بعد.

الثانية:- تلك التي صدرت خلال فترة الست سنوات الأخيرة من حكمة، وهذا ما سوف نتناوله:-

أولا:- المراسيم الأولي التي صدرت قبل توليه الحكم وفى الثلاث سنوات الاولي من حكمة حيث كانت أمور الدولة بيد الأمير" نوروز" و الوزير " صدر الدين الزنجاني" قرر السلطان بشأنها:-

بالنسبة للمراسيم التي صدرت قبل فترة حكمة، على أصحابها ان يحضروها للحضرة السلطانية لتجديدها، فاذا كانت صحيحة يعتمد توقيعها، واذا كانت غير ذلك تسترد من أصحابها.

أما بالنسبة للمراسيم التي أصدرها "نوروز" و" صدر الدين" والنواب الاخرين وفق مصالحهم وأهوائهم فإنها كلها باطلة وملغاة.[١]

ثانيا:- المراسيم التي صدرت بعد ذلك خلال فترة الست سنوات المتبقية من فترة حكمه، كان قد قرر بشأنها وحتي يكون إصدارها سليماً:-

يكلف الأمراء – بصفتهم يعرفون مصالح الملك ويدركون كل أمر بعمل مسودة للمرسوم المراد إصداره، يقرأ لفظاً بلفظ بحضور كتاب المغول، ثم يعرض على السلطان، حتي اذا لزم إصلاح فإنه يقوم بذلك، ثم تبيض المسودة وتعرض على

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان، ص٣٣٦.

السلطان مرة أخري ثم تختم بختم التغما[١]، ويدون عليها إن المرسوم الفلاني الخاص بفلان قد عرض في اليوم الفلاني وقرأ في اليوم الفلاني.

ان يعرض المرسوم على السلطان وهو في حاله صحوة ويقظه ثم يتم وضع التمغا عليه.

ان يكون مفتاح صندوق التغما في عهدة السلطان – بعد ان كان في عهدة الكاتب – فيسلم وقت الحاجة ثم يعاد ثانية الى السلطان .

بعد ختم المرسوم يعرض على الوزراء وأصحاب الديوان حتي يتأكدوا من عدم حدوث تلاعب او تزوير ثم يسلمونه لصاحبه.

عين السلطان كاتبا يدون في سجل سنوي صورة من المرسوم لفظاً بلفظ ويذكر اليوم الذي ختم فيه بالتمغا ومن كتبه ومن عرضه، على أن يكون ذلك السجل سنويا، بهدف ألا يتم حدوث تزوير ولا يستطيع أحد أن ينكر عرض المرسوم أو كتابته أو ختمه .[٢]

أمر بأن تخصص لكل مرسوم تمغا خاصه به، فالمراسيم الخاصة بالملوك والامراء وعظائم الأمور خصصت لها دمغة كبيرة من اليشم[٣] أما المراسيم الخاصة بالقضاة والأئمة والشيوخ فلها أيضا تمغة من اليشم ولكن أصغر من السابقة، أما الأمور المتوسطة فلها تمغه كبيرة من الذهب. [٤]

---

[١] التمغا: كلمة ذات اصل تركي تعني "علامة أو توقيع او شعار . ينظر فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين، حاشية١ص٧٧.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٣٣٠.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٣٣٠.

[٤] اليشم مصطلح عام يشمل مجموعه من المعادن الصلدة التي تتدرج ألوانها من الأبيض تقريباً الى الأخضر الأدكن وتتكون من سليكات الكالسيوم والماغنسيوم غير المتبلورة. ينظر: المعجم الوسيط، ١٠٦٥/٢.

وبإقدام السلطان "محمود غازان" على تلك الإجراءات بقصد إصلاح نظام إصدار المراسيم، ظهر الحق من الباطل والصدق من الكذب وتخلص أرباب الفضيلة من خسة الدخلاء. [١]

(٢) الشحن:- جمع شحنة وهي ترجمة لكلمة " باساق " او " باشقاق" المغولية. ينظر: وصاف: مصدر سابق، ص٦٦ وصاحب الشحنة هو متولي سياسة الشرطة.ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ع، حاشية "١" ص٤٧.

ثالثا: نظام منح البايزات[٢]:-

من الإصلاحات الإدارية التي شهدها عهد السلطان " محمود " نظام منح البايزات وهذا ما سوف نعرض له.

قبل عهد السلطان، كانت البايزات – شأنها شأن المراسيم- تمنح حسب الأهواء الشخصية، ويحصل عليها البعض لتحقيق منافع شخصية له طوال حياته، ومن أجل القضاء على هذا الفساد، شرع السلطان في إتخاذ عدة إجراءات، بعد السنوات الثلاث الأولي من عهده نجملها فيما يلي:-

أولا:- بالنسبة للبايزات التي مُنحت قبل عهده، وفي الثلاث سنوات الأولي من حكمه، قرر السلطان:-

---

[١] رشيد الدين: نفسه، ص ٣٣٢.

[٢] البايزات: جمع بايزه، وهي لوحة من الذهب أو الفضة أو الخشب حسب رتبة المهداة إليه، في حجم الكف، ينقش علي وجهها اسم الله واسم الخان المانح وعلامة خاصة، واسمي أنواع ما كانت تزينة صورة الأسد، وتهدي البايزة الي من يثق بهم المغول، من كبار رجال الدولة، كما أنها تتضمن أمر الخان لسفرائه ويتمتع حاملها بإمتيازات خاصة فله الطاعة علي كل من في دولة المغول . ينظر رشيد الدين: تاريخ خلفاء جنكيز خان، حاشية (١ ص٨.

إلغاء كل تلك البايزات، وأصدر أمراً الي حكام الولايات والشحن [١] بـــألا يقبلـــوا علي الاطلاق ما يقدم إليهم من تلك البايزات.
كل من يملك بايزة قديمة أو حديثة منحت خلال الفترة الأولي من حكمه – الثلاث سنوات عليه أن يسلمها خلال ستة أشهر لكي يمنح بدلاً منها جديدة إذا كان يستحق ذلك، وبعد المدة المحددة، سوف يتم القبض علي أي شخص بحوزته بـــايزة مـــن الملغاة، ويعتبر مجرماً وتسترد منه. [٢]

وبذلك إختفت البايزات القديمة، والتي منحت حسب الاهواء الشخصية ولم يعـــد لا وجود

ثانيا:- أما بخصوص البايزات التي سوف تمنح بعد السنوات الثلاث الأولي مـــن حكمه البايزات، فقد وضع السلطان عدة ضوابط نجملها فيما يلي:-

بخصوص التي تمنح لحكام الولايات، أمر السلطان بصنع بـــايزات كبيـــره لهـــم، شكلها مستدير علي هيئه رأس الأسد، ومدون عليها إسم حاكم الولاية، ثم يســـجل ذلك في سجل، وتظل البايزة.

في يده طالما ظل في الحكم، أما إذا عزل أو توفي تسترد منه وتعطي بايزة آخري بنفس الشكل ومدون عليها إسم الحاكم الجديد.

بخصوص رسُل البريد، الذين يذهبون بالبريد الرسمي للدولة أمـــر لهـــم ببـــايزة مستطيلة عليها صورة القمر، ومدون عليها إسم الرسول، علي أن تطبـــق عليهـــا نفس القواعد التي طبقت علي بايزة الحكام.

---

[١] الشحن: جمع شحنه وهي ترجمة لكلمة "باساق" أو "باشقاق" المغولية. ينظر: وصاف: مصدر سابق، ص٦٦. وصاحب الشحنة هو متولي رياسة الشرطة. ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، حاشية١ ص٤٧.
[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان، ص٣٣٦.

بخصوص رسل البريد العادي، خصصت لهم بايزات مستديره يكتب عليها " بايزة الخزانة " ثم يسجل إسم الرسول في سجل وعند عودته تسترد منه.

بخصوص أمراء الثغور الذين يستخدمون البريد الرسمي للدولة قرر السلطان أن يمنح كبارهم " خمس بايزات " مصنوعه من النحاس، أما ذوي الرتبه المتوسطه منهم يمنحون ثلاث بايزات يسلمونها للرسل بقصد إرسال البريد بسرعه[١].

منع السلطان صناعه البايزات في الولايات، وقصر أمر صناعتها علي البلاط السلطاني، بعد أن عين لهذا الغرض صانعاً يلازم البلاط، وبعد أن تصنع ينقش عليها نقش معين بحيث لا يستطيع شخص أن يقلده، وذلك بهدف منع التزوير في صناعة البايزات. [٢]

بتنظيم صناعة ومنح البايزات في عهد السلطان " محمود غازان " ظفر الناس بنوع من الراحه، ولم يعد أصحاب المصالح الشخصية يرهقون الناس لخدمتهم [٣]

تلك كانت الاجراءات التي إتخذها السلطان " محمود " بعد الثلاث سنوات الأولي من حكمه، من أجل إصلاح نظام إصدار ومنح البايزات .

من العرض السابق يتضح لنا أن السلطان " محمود غازان " أقدم خلال فترة حكمة للدولة الايلخانية علي عدة إصلاحات إدارية تمثلت في إصلاح نظام البريد، وإصلاح نظام منح المراسيم وإصلاح نظام منع البايزات، وقد نجحت تلك الاصلاحات في القضاء علي الفساد الذي كان مستشرياً في النظم الادارية في ذلك الوقت.

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان خان/ ص ٣٣٣.

[٢] خواندمير: حبيب السير:٣/١٨٤

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٣٣. عباس إقبال: مرجع سابق، ص٣٠٠.

ثانياً:- الإصلاحات المالية في عهد السلطان" محمود غازان"

في الوقت الذي أقدم فيه السلطان علي إصلاح النظم الإدارية شرع أيضاً في العمل على إصلاح النظم المالية في الدولة بهدف القضاء على الفساد المالي الذي ضرب أركان الدولة. وقد تمثلت الإصلاحات المالية في:-

١-إصلاح نظام العطاء ٢- إصلاح نظام الضرائب

٣- منع التعامل بالربا ٤- ضبط حسابات خزانة الدولة.

٥- توحيد وزن الذهب والفضة والمكاييل ووحدة القياس

٦- إصلاح نظام سك العمله، وسك عمله جديدة.

وهذا ما سوف نعرض له.

إصلاح نظام العطاء.

عندما تقلد السلطان عرش الدولة الايلخانية، كانت خزائن الدولة خالية من الأموال، وأموال الديوان عرضه للنهب[١] وبسبب سوء تدبير الوزراء والحكام السابقين طمع عمال الولايات في الاموال ولم يرسلوا شيئا إلي خزانة الدولة، وقد وصف لنا تلك الحوال إجمالاً السلطان نفسه بقوله" جئت على رأس بلد خرب [٢] وعلى ذلك توقف نظام العطاء.

وبعد ثلاثة أعوام من تولي الحكم وبعد أن أعاد السلطان ترتيب شئون الدولة، وأحكم شؤون الأطراف والثغور وضبط تحصيل الضرائب وأخذت الأموال تتدفق علي الخزانة الحكومية، شرع الشلطان في إستئناف نظام العطاء.

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازن خان، ص٢٢١.

[٢] البدليسي: مصدر سابق،١٢/٢.

ويلاحظ ان السلطان أوكل في البداية أمر العطاء إلي الأمراء بعد أن بين لهم أي قوم يُعطون وما المبالغ التي تُعطي لكل طائفة، حيث كان الأمراء يعطون طبقاً لتلك القاعدة، واستمروا علي ذلك فترة من عهد محمود غازان.

وفي السنوات الأخيرة من حكم السلطان، ،أوكل أمر العطاء لنفسه[١] وشرع بنفسه في توزيع العطاء النقدي والعيني علي أسس جديدة وضعها أبرزها:-

كان يراعي قدر الشخص ومنصبه، بحيث لا يعطي القليل من كان أهلاً للكثير ولا يعطي الكثير من ينبغي أن يعطي قليل، وعلي ذلك أعطي مبلغاً كبيراً لمن أدواء خدمات جليلة للدولة، وكذلك من مهد الطرق وبعد هؤلاء كان يعطي الأباء ممن لهم أبناء ثم قواد الميمنة والميسرة.[٢]

كان يراعي الإعتدال في توزيع العطاء، فلا يسرف ولا يبخل لأنه من شأن تلك السياسة المحافظة على إستمرار نظام العطاء وعدم توقفه، ومن أجل تحقيق ذلك كان يتم وزن أكياس الذهب والفضة، ويكتب عليها مقدار ما تحتويه ثم إسم الطائفة التي تستحقها وذلك حسب أحقيتها.[٣]

وبالإضافة إلي هذا العطاء النقدي، كان هناك أيضاً العطاء العيني، حيث كان السلطان يأمر بوضع أنواع الثبات مرتبة صنفاً صنفاً وكان ينادي علي واحداً واحداً، ويامر بتسليم كل واحد نصيبه بحضورة.

وقد صور لنا المؤرخ " رشيد الدين"[٤] ذلك بقوله " أمر السلطان بإقامة مخيم ملكي كبير في" أوجان" حيث جمعت الخزائن التي أحضروها من أطراف البلاد

---

[١] البدليسي: مصدر سابق، ١٢/٢.

[٢] خواندمير: حبيب السير، ١٧٠/٣.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان،ص٢٢٢.

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٢٢٢.

وجلس السلطان بنفسه وظل يمنح الأموال مدة عشرة أيام او خمسة عشر يوماً، فمنح مبلغ ثلاثمائة تومان [١] نقداً ذهبياً، وعشرين ألف ثوب وخمسين حزاماً مرصعاً وثلاثمائة حزام ذهبي ومائة بالش [٢]من الذهب الأحمر.[٣]

تلك هي الإجراءات التي إتخذها السلطان محمود " لإصلاح نظام العطاء.

إصلاح النظام الضريبي

بعد ان تولي السلطان " محمود" الحكم وقضي علي الفتن واستقرت أمور الدولة وشرع في إجراء الإصلاحات المختلفة، لفت نظرة مساؤي النظام الضريبي الفاسد، فعمد إلي إتخاذ عدة تدابير بهدف إصلاح هذا النظام ولكن قبل أن نعرض لتلك التدابير ينبغي أن نعرض بعض مساؤي هذا النظام والتي عالجها السلطان بعد توليه الحكم.

قبل عهد السلطان، وحينما كان سلاطين الدولة الإيلخانية يعهدون إلي الولاة بحكم ولايات الدولة، كانوا يفرضون علي كل منهم مبلغاً من المال كضرائب عن ولايته تسدد إلي خزانة الدولة سنوياً ولما كان السواد الأعظم من هؤلاء الولاة غارقون في الفساد، كانوا يحصلون الضرائب من الرعية أكثر من مرة في السنة وعلي حد قول رشيد الدين عشرات مرات [٤] وكانوا يتذرعون بحجج واهية لتبرير فرض تلك الضرائب منها أنه إذا قدم رُسل من الحضرة السلطانية إلي إحدي الولايات لإنجاز مهمة معينة، كان الوالي يشرع في فرض ضرائب جديدة، تارة باسم إنجاز

---

[١] التومان: عدد مغولي يعني عشرة الاف . ينظر: الجويني مصدر سابق حاشية (١ ج١ ص ٦٦.

[٢] البالش: عبارة عن ٥٠٠ مثقال من الذهب أو الفضة ينظر رشيد الدين تاريخ خلفاء جنكيز خان حاشية (٣ ص٧٣.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٢٢٢.

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازن، ص ٢٨٠ د/ شرين بياني: مرجع سابق، ص٣٢٦.

المهمات، وثانية بإسم علف دواب الرُسل، وثالثة بإسم المؤن التي تقدم للرسل وهكذا ورغم كثرة تلك الضرائب وتعددها كان الولاة لا يرسلون منها شيئاً إلي خزانة الدولة.(١)

ولما كانت الضرائب تفرض وتجبي أكثر مرة في العام إضطر ضعاف الرعايا الذين ليس لهم طاقة بسداد الضرائب المتكررة إلي ترك قراهم ومساكنهم والهرب إلي قري ومدن أخري، وبذلك خلت بعض القري والمدن من السكان بسبب نظام الضرائب السيء ويعطي لنا المؤرخ رشيد الدين مثلاً بهذا الحال " ولاية يزد (٢) حيث يقول" أنه إذا تجول شخص في كل قراها فإنه قطعاً لن يري فيها مخلوق يتحدث إليه او يسأله عن الأحوال (٣) أما عن من تمسك بالبقاء في قراهم ومدنهم فكان عليهم سداد الضرائب وإلا يقوم الجباة بإعتقال نسائهم، ويستولون علي قطعان الغنم المملوكة لهم، وأحياناً يقومون بتعليقهم من أرجلهم. (٤)

أما أصحاب النفوذ في الولايات فإنهم كانوا يمانعون في سداد المبالغ الإضافية،وكان الجباه يراضونهم بقولهم " لن نطالبكم بسداد هذا القسط الأخير أو اننا سوف نخفض لكم نصف المطلوب.(٥)

ولما كان الولاة يستولون علي أموال الضرائب لأنفسهم، لم يكن أي مخلوق يعرف حقيقة المبالغ التي جمعت من الضرائب، ولم يصرف منها شيئاً علي المشروعات العمرانية، حتي أن أجور العمال لم تكن تصرف لهم بحجة نقص الأموال، وهؤلاء

---

(١) خواندمير: حبيب السير، ١٦٨/٣ عباس إقبال: مرجع سابق،ص٢٩١.

(٢) يؤد: مدينة من أعمال فارس بين نيسابور وشيراز وأصفهان ينظر ياقون مصدر سابق، ٤٣٥/٥ وهي بلدة المؤرخ " رشيد الدين"

(٣) رشيد الدين: تاريخ غازان، ص ٢٨٦.

(٤) خواندمير: حبيب السير، ١٦٨/٣.

(٥) رشيد الدين: تاريخ غازان، ص ٢٨٤.

كانوا طوال العام يلاقون المماطلة والتسويف من جانب الـولاه للحصـول علـي أموالهم، أما الأكثر نشاطاً منهم فإنهم كانوا يلجأون إلي نـواب الـولاة للمطالبـه بأجورهم حيث كان هؤلاء يحصلون على بعض حقوقهم بعد أن يبيعون ما لهم من حقوق بنصف ثمنه إلي هؤلاء النواب.(١)

وبعد أن تفقد السلطان أحوال الولايات التي كانت تجبي منها الضرائب واطلع علي مواطن فساد هذا النظام، وجه جهدة لمعالجة هذه الأمور، ومن أجل ذلك إتخذ عدة إجراءات نعرضها فيما يلي:-

تعيين كاتب لكل ولاية من ولايات الدولة، يدون بالتفصيل مجموع المناطق التـي تضمها تلك الولاية قرية قرية، وأن تقرر الضرائب عليها بالتساوي.

امر السلطان بأن يتفحص الكتاب كل أملاك الخاصـة (إينجـو) والأوقـاف وأن يجري مسح لكبار أصحاب الأملاك ويدون هذا في سجل القـوانين حتـي يمكـن الرجوع إليه إذا حاول البعض إضافة أملاك جديدة إلي املاكهم.(٢)

أمر بأن تعلق المبالغ المقررة من الضرائب علي الولايات للأهالي ودون زيادة أو نقصان وذلك بحضور القضاة والسادات والأئمة وكبار رجال الولايه وأن تـدون تلك المبالغ في قوائم تثبت بالجص والمسامير في مواضع القرية المختلفة وبجوار المساجد حتي يعرفها الكل.(٣)

يحدد أيضاً في تلك القوائم الضرائب العينية المقررة علي القرية وموعد سداد كـل قسم من تلك الضرائب مع تيعين رسوم الدفعة على ذلك وتثبتها في القوائم.(٤)

---

(١) خواندمير: حبيب السير، ١٦٨/٣ حسن الأمين، مرجع سابق، صـ ٣١٩ -٣٢٠.

(٢) خواندمير: حبيب السير، ١٦٧/٣-١٦٨.

(3) Machail Prwdin: the mongol Empire its rise and legacy (trans edan, P, 377.

(٤) رشيد الدين: تاريخ غزان خان ص٢٩٠ وأيضاً.

إلغاء الضرائب الإستثنائية، وأنواع الحجوزات الديوانية ومنع تحصيل نفقات العلف لدواب الجباة والرسل الذين كانوا يوفون تباعاً إلي كل ولاية لجمع الأموال.[١]

بالنسبة للضرائب النقدية، علي الجباة ان يحضروا تلك الأموال نقداً ويسلمونها للخزنة، وإذا ما سدد الرعايا الضريبة نقداً ذهبياً فإنه لا يجوز للجباة أن يستبدلوا به بضاعة عينية، ولو بدينار واحد، وإذا جاء أحد الرعية ببضاعة بدل النقد فإن عليه أن يحملها إلي السوق ويبيعها ويأتي بثمنها نقداً إلي الخزانة.[٢]

حدد دفع الضرائب النقدية على قسطين في السنة الأول من بداية حلول النورز الجلالي[٣] وذلك لمدة عشرين يوماً والقسط الثاني يدفع إبتدائا من طلوع الشمس في أول برج الميزان ولذلك لمدة عشرين يوما.ً[٤]

حدد مكان دفع الضرائب بأن يكون في وسط المدينة بعد أن يقيم المحصل خيمة في هذا المكان، ومنذ بداية اليوم المحدد حتي إنتهاء فترة تحصيل، كان الطبل يدق خمس مرات في اليوم حتي تسلم الأموال إلي المحصل ولا يتقاضي المحصل عن ذلك شيئاً من الرعية بإسم الخدمة.[٥]

David Morgan: Medieval Persia, P.75.

[١] خواندمير: حبيب السير،١٦٨/٣.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان ص،٢٩٠

[٣] النورز الجلالي: نسبة إلي السلطان السلجوقي جلال الدين ملكشاة ت(٤٨٥ه حيث يذكر ابن الأثير في كتابة الكامل،٤٠٢/٨ ان السلطان والوزير

(نظام الملك جمعا جماعه من اعيان المنجميين وجعلوا النيروز في أول نقطة من الحمل، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف برج الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقويم.

[٤] خوان: حبيب السير،١٧٠/٣-١٧١.

[٥] رشيد الدين الدين: نفسه ص٣٠١.

إذا لم يقم الرعايا بتسليم أموال الضرائب في الميعاد المحدد فإن المحصل يقبض عليهم ويفرض عليهم ديناراً غرامة تأخير عن كل مائة ديناراً من أصل الضرائب المقررة، وإذا قصر المحصل عن ذلك وأهمل يجلد سبعين جلدة، حتي تبقي هذه القاعدة مضبوطة ومحكمة. [١] أما بخصوص الضرائب العينية ما يتعلق بالمحاصيل الشتوية مثل القمح والشعير وغيرهما، علي المزراعين بعد حصادهم أن ينقلوها بدوابهم إلي المخزن المعين في المنطقة وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يومياً.

أما بخصوص المحاصيل الصيفية – أيضاً– علي المزارعين بعد حصادهم أن ينقلوها بدوابهم إلي المخزن المعين، وذلك خلال مهلة أقصاها عشرون يوماً.[٢]

وقد ترتب على تلك الإجراءات التي وضعها السلطان " محمود " بالنسبة للضرائب عدة نتائج إيجابية نجملها فيما يلي:–

صار ما يحمل من الأموال الي خزينة الدولة أضعاف ما كان يتم تحصيله، في العهود السابقة وقد اتاح ذلك للسلطان توفير نفقات الجيش وضبط أمور الثغور واستئناف نظام العطاء عاش الرعية في رفاهية وأصبحت الضرائب محددة ومعلومة بعد أن كانت سابقاً تقدر حسب الأهواء والمصالح.

قضي على أهواء الولاة فيما يتعلق بتكرار فرص الضرائب تحت ما كان يتذرعون به من حجج واهية، كما قضي أيضاً على أساليب العنف والقسوة التي كان يلجأ إليها المحصلين سابقاً لجمع الضرائب.

منع التعامل بالربا:–

بعد أن تقلد السلطان أمور الحكم واستتبت له الأمور، وشرع في الإصلاحات المالية، إستحوذ التعامل بالربا بين الناس إهتماماً كبيراً من جانب السلطان،

---

[١] رشيد الدين: نفسه، ص٣٠١.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٠١

وأصدر مرسوماً في شهر "شعبان ٦٩٨ه/ مايو ١٢٩٩م" يحرم التعامل بهذا النظام وفقاً للشريعة الإسلامية، وتفصيل ذلك.

عرف التعامل بالربا سبيلاً له بين الناس في تعاملاتهم المالية منذ عهد السلطان " أبا قاخان" ت ٦٨٠ه" وفي عهد من أتي بعده من حكام الدولة الإيلخانية، حيث كثر[١] التعامل المالي بين الناس بهذه النظام الربا وخاصة في عهد الإيلخان " كيخانو") (ت٦٩٣ه) ووزيرة " صدر الدين الزنجاني" ت" ٦٩٧ه" حيث وصل أمر الإقراض بالربا حداً يصعب تصديقه.[٢]

ويلاحظ أن السواد الأعظم من المرابين الذين يعلمون في هذا النظام كانوا من المغول الأويغور، وإن كان هذا لا يمنع أن يكون من بين هؤلاء من المسلمين [٣] ولم يقتصر التعامل بالربا على العامة من الناس بل شاركهم في ذلك حكام الأقاليم ولكن لماذا عمل هؤلاء في نظام الربا وهم اكثر رفاهية من غيرهم؟

الحقيقة ان دوافع تلك الفئة الحكام إختلفت عن غيرها في شأن التعامل بالربا، فالبعض منهم عمل بهذا النظام بدافع الطمع حيث كانوا يعطون الصنف الذي يساوي عشرة دنانير بثلاثين او اربعين ديناراً، أما البعض الأخر منهم فكان يعمل بنظام الربا حتي يدفع الضرائب المقررة عليه في ولايته وبالتالي يستمر في الحكم.[٤]

نظر السلطان إلي هذا النظام بعين الشخص المسلم أولاً، والمصلح لنظم الدولة المالية ثانية، فقرر:-

---

[١] كثر التعامل بالربا في عهد الإيلخان " كيخانو" ووزيرة لسوء الأحوال الاقتصادية: ينظر عباس إقبال: مرجع سابق، ص٢٩٥.

[٢] البدليسي: مصدر سابق،١٢/٢.

[٣] د/ شرين بياني: مرجع سابق، ص٣٢٦.

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص ٣٥٥.

إصدار مرسوم يحرم التعامل بالربا بين الناس وذلك في سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) وقد لقي هذا المرسوم معارضه من جانب المرابين الذين نادوا بأن القروض ضرورية لأرباب الحاجات لإنجاز مهماتهم، إلا أن السلطان لم يلتفت إلي ذلك.[١]

ولما حاول البعض التعامل بالربا بشكل أخر، فكان البعض يبيعون بالقروض كثيراً من البضائع بأثمان باهضة، بحجة أن ذلك من قبيل البيع والبيع مشروع، ولم يتخذ ذلك شكل الربا، فلما وصلت تلك الحيل إلي مسامع السلطان غضب وقال" إذا لم يتركوا هذه الحيل والتزويرات فإننا سوف نأمر كل شخص يأخذ قرضاً بهذه الطريقة لايعيده علي الإطلاق لا رأس المال ولا ربحة. [٢]

وقد ترتب علي تحريم التعامل بالربا أن إستقامت المعاملات المالية بين الناس، وعم الإنصاف، وثبتت قيمة الجواهر والمرصعات، وعُمرت خزانة الدولة.[٣]

ضبط حسابات خزانة الدولة:-

من ميادين الإصلاحات في عهد السلطان " محمود إصلاح شئون الخزانة العامة وتنظيم هيكلها الإداري وذلك بهدف القضاء على الفساد المالي الذي كان مستشرياً في خزانة الدولة، وتفصيل ذلك:.

قبيل عهد السلطان" محمود" تطرق الفساد والخلل إلي الخزانة العامة، فبم يكن هناك تدويناً للحسابات حتي يعرف الداخل والمنصرف بل كان القائمون على أمرها يستلمون الأموال وبنفقونها دون ضابط أو رابط، بالإضافة إلي ذلك لم تكن خزانة الدولة تودع في مكان أمن بل كانت الخزائن المختلفة تكدس في الصحراء ويكتفي بتغطيتها باللباد، ويقوم علي حراستها طائفة من الفراشيين يتصرفون في

---

[١] رشيد الدين: نفسه، ص٣٥٩.

[٢] رشيد الدين: نفسه، ص٣٥٨. د/ شرين بياني: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص،٣٥٩.

اموال الدولة، حتي أن المؤرخ " رشيد الدين" يذكر أنه كان يضيع من تلك الأموال ثمانية أعشارها ويتبقي العشران" من أجل الآنفاق على أوجه الصرف المختلفة التي تطلبها الدولة.[١]

وبعد أن إطلع السلطان على تلك الأمور عمل على إصلاح تلك المفاسد وتحقيقاً لذلك أصدر عدة قرارات:

بالنسبة للمرصعات والجواهر التي تفد إلي الخزانة العامة قرر أن تسجيل في سجل بقلم الوزير، ثم توضع في صندوق يغلق ثم يختم بختم السلطان ويعين شخصاً من موظفي الخزانة ومعه أحد الخدم الخصيان ليحافظا علي الصندوق ويكون في عهدتيهما وبإستثناء هاذيين الإثنين لا علاقة لأي مخلوق بهذا الصندوق.[٢]

أما التحف والهدايا والثياب الخاصة التي تصنع في المصانع وكل ما يفد من الولايات البعيدة، فعلي الوزير– أيضاً– ان يسجل ذلك في السجل وتبقي في عهدة موظف من الخزانة ومعه أحد الخدم الخصيان ولا يتصرفان في أي شيء إلا بإذن من السلطان، وأطلق على خزانة تلك الاشياء إسم " نارين" أي الخزانة الخاصة.[٣]

أما الأموال التي ترد نقداً إلي خزانة الدولة، فقد عين السلطان خازاناً وخادماً لها وتكون في عهدتيهما وذلك بعد أن يقوم الوزير بإحصاء تلك الأموال وتسجيلها في السجل.[٤]

---

[١] رشيد الدين: نفسه، ص ٣٧٢.

[٢] خواندمير: حبيب السير،١٦٨/٣.

[٣] خواندمير: حبيب السير، ١٨٦/٣.

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٧٣.

أما بخصوص الانفاق من أموال تلك الخزانة فقد أمر السلطان بأن يقدم له الوزير بياناً عما تحتاجة الدولة من أوجه الانفاق، ثم يؤشر عليه السلطان، ويثبت ذلك في السجل، ولضبط الأموال وبيان الداخل والمنصرف، أمر السلطان بجرد الخزانة كل ستة أشهر او كل عام لضمان عدم التلاعب في أموال الدولة.(١)

أما بخصوص أموال الصدقات المحولة إلي خزانة الدولة، فقد أمر بإحضار تلك الأموال له شخصياً كي يقوم هو بتوزيعها علي المستحقين.(٢)

وقد ترتب علي إصدار تلك القرارت من جانب السلطان بهدف ضبط شؤون الخزانة العامة للدولة ان توافرت الأموال الطائلة والثياب التي لا حصر لها وعُمرت الخزانة.

توحيد وزن الذهب والفضة والمكاييل ووحدة القياس:-

من الأمور التي أولاها السلطان إهتماماً في مجال الإصلاحات المالية، قيامة بتوحيد وزن الذهب والفضة والمكاييل ووحدة القياس فقبل عهدة كانت تلك تختلف من ولاية لأخري، بل إن هذا الاختلاف إمتد إلي الولاية الواحدة فكانت تلك الناحية تختلف عن الأخري في هذا الشأن، ويقدر ما كان بتفاوت هذا الاختلاف، كان يتحقق الربح للتجار، وقد ترتب علي ذلك أن كسدت سوق البضائع في بعض الولايات وانعدم وجودها في البعض الآخر. (٣)

ولما إطلع السلطان على تلك الأحوال المختلفة علق قائلاً "حيث أن كل الممالك طوع امرنا، فما الداعي إذن لوجود هذا الإختلاف علينا أن نضبط تلك الأمور

---

(١) خواندمير: حبيب السير، ١٨٦/٣

(٢) رشيد الدين: تاريخ غازان ص ٣٧٣.

(٣) عباس إقبال: مرجع سابق ص ٢٩٧.

حتي تكون كل المواضيع متساوية ولا يتبقي اوزان مختلفة في الأسواق والولايات والقري حتي لا يستطيع التجار التلاعب والسرقة". [١]
ومن أجل إصلاح تلك الإختلافات في الوزن والكيل والقياس قرر السلطان:-

اولاً: فيما يتعلق بوزن الذهب والفضة :أصدر أمراً بان يكون الوزن في كل الولايات مساوياً للوزن في العاصمة، ومن أجل توحيد أداة الوزن في العاصمة عين السلطان إثنين من أتباعه هما: فخر الدين وبهاء الدين الخراساني وكلفها بصنع سنجات الوزن من الحديد، على أن يكون شكلها مثمن وتوضع عليها علامة السكة حتي لا يستطيع أحد تزويرها أما في الولايات المختلفة للدولة، فقد كلف السلطان أربعة أشخاص في كل ولاية بصنع سنجات الوزن علي أن تكون مثمنة الشكل طبقاً للنموذج الذي وضعه فخر الدين وبهاء الدين، بعد أن يتم وضع السكة عليها.[٢]

إذا رغب شخصاً ما في صنع أداة الوزن عليه أن يصنعها من الحديد الخام ذي الشكل المثمن ثم يسلمها إلي الثقاه الأربع في الولاية كي يعدلوا العيار باختياط تام، ثم يقومون بوضع السكة عليها ويسلموها لأصحابها.

كل شخص يعطي السنجات التي عليها السكة يسجل إسمه في السجلات حتى لا يستطيع شخصاً ما أن يوزيف أداة الوزن حسب هواه. [٣]

أن يتفحص المسؤولين كل شهر، كل السنجات لكافة الناس، ويقارنوها بالآصل، فإذا وجدوا هناك إختلاف يطبق علي من فعل ذلك حكم الإعدام بعد أن يقومون بتسليمة للشحنة [٤].

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٢٤.

[٢] خواندمير: حبيب السير، ٣/١٧٥- د/ شرين بياني: مرجع سابق ص ٣٢٨ .

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان، ص ٣٢٦.

[٤] الشحنة: تعني صاحب الشرطه . ينظر الي محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخيةفي العصر المملوكي، ص ٩٦.

ثانيا:- فيما يتعلق بأوزان الأحمال

لما كانت أوزان الاحمال تختلف في كل ولاية عن الاخري، أصدر السلطان أمراً بأن تكون مساوية لأداة الوزن في العاصمة ، وأن تكون تلك الاداة مثمنة الشكل وذلك بعد أن توضع عليها علامة السكة[١] حتي لا يقوم أحداً بتزويرها.

أمر أن تخصص لوزن الأحمال إحدي عشرة قطعة وفق الترتيب التالي:- عشرة أمنان[٢]، خمسة أمنان، منان، من واحد، نصف من، ربع من، ثمن من، عشرة دراهم، خمسة دراهم، درهمان، درهم واحد.

أما إذا كان الشئ المراد وزنة ثقيلاً ومكون من قطعة واحدة فيجب علي موظفي التمغة[٣] في المدن أن يصنعوا أداة الوزن "قبانا"[٤] كي يتم وزن الحمل بة[٥].

ثالثا:- فيما يتعلق بالمكاييل

لما كانت أدوات الكيل من كلية[٦]وقفيز[٧] وجريب [٨]وتغار[٩] تختلف في وزنها من ولاية لأخري في الدولة، مما يترتب علية خسارة البعض ومكاسب للبعض الاخر من التجار، فقد قرر السلطان بخصوص هذا الشأن:-

---

[١] السكة: وهي الختم والعلامة علي أداة الوزن . وعن تعاريف السكة ينظر أنستاس الكرملي:: النقود العربية ولااسلامية،ص١١٣.

[٢] المن: وحدة وزن تساوي شرعاً رطلين، وكل رطل ١٣٠ درها. ينظر: هنتس المكاييل والأوزان الاسلامية، ص٦٠

[٣] التمغة: كلمة مغولية مركبة من آل بمعني أحمر وتمغا بمعني خاتم أي الخاتم الاحمر، ينظر: فؤاد الصياد، مؤرخ المغول الكبير، حاشية (١ ص٧٧

[٤] القبان: الميزان ذوالذراع الطويل المقسمة أقساماً ينقل عليها جسم ثقيل يسمي الرمانة لتعيين وزن مايوزن. ينظر، المعجم الوسيط .

[٥] رشيد الدين: تاريخ غازان خان: ص٣٢٧.

[٦] الكيلة:- حدد غازان الكيلة قيمة موحدة في جميع أنحاء البلاد وهي تبلغ ١٠ أمنان، تسالوي٨,٣٣كجم . ينظر: هنتس مرجع سابق،ص٧٣.

[٧] القفيز: حوالي ١٠ كيلو جرام : ينظر: هنتس: مرجع سابق، صـ٦٧

[٨] الجريب: كان الجريب يساوي ١٢٠ منا تبريزيا. ينظر: هنتس: مرجع سابق صـ٦٢

[٩] التغار وحدة وزن تعادل مائة من، والمن يساوي رطلين. ينظر هنتس مرجع سابق، ص٤٠.

أن تقتصر أدوات الكيل علي الكيلة والتغار فقط ولا يتم التعامل بأية أداة أخري.
حدد الوزن بالنسبة للكيلة والتغار – وفق الوزن التبريزي– بأن تساوي الكيلة عشرة أمنان، والمن يساوي ٢٦٠ درهما، وكل عشر كيلات تساوي تغاراً بوزن تبريز.[١]

لما كانت الحبوب مثل القمح والشعير والفول والسمسم بعضها أخف أو أثقل من الأخر، أمر بأن يصنع لكل نوع من الحبوب مكيالا خاصاً به، ويكتب علية من الجهات الاربع " مكيال الحب الفلاني" وعلي المسؤولين والمحتسب أن يقوموا بوضع علامة معينة علي ذلك المكيال حتي لا يتم تزويره.[٢]

أما إذا صنع شخصاً ما مكيالا وتعامل بة دون أن تكون علية العلامة الخاصة بة، فيتم القبض علية ويسلم للشحنة حيث يتم قطع يده بوصفة مجرما.[٣]

حدد مكيال الخل والسمن بأن تكون الكيلة عشرة أمنان بوزن تبريز، أما بخصوص قرب الدبس، فما يقدم منها للجنود تقدر الواحدة بخمس كيلات أي تزن خمسين مناً، وأما ما يقدم منها في المآدب والحفلات فتقدر بأربع كيلات أي أربعين مناً[٤].

أما فيما يتعلق بوحدة قياس الطول، فأمر بأن تكون تلك وفقا للذراع التبريزي[٥]، ولايتم القياس بالذراع الرومي، على أن يتم ختم كل الاذراع بختم من صنع

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٢٨.

[٢] خواندمير: حبيب السير،١٧٦/٣٢

[٣] خواندمير: نفسة،١٧٦/٣

[٤] رشيد الدين: تاريخ غازان خان، ص٣٢٨.

[٥] الذراع التبريزي حوالي ٨٠ سم . ينظر: هنتس: مرجع سابق، ص ٩٣.

الإستاذين: فخر الدين وبهاء الدين الخراساني، وكل شخص يستخدم ذراع غير مختوم ويغير في المقاييس يعد مجرماً يستحق الإعدام[١].
وقد ترتب علي تلك الإصلاحات في أدوات الوزن والكيل والقياس، أن إستقرت المعاملات التجارية بين الناس واختفت مظاهر الغش، وعاد التجار يحملون تجارتهم الي سائر ولايات الدولة.

إصلاح نظام سك العملة وسك عملة جديدة:-

قبل عهد السلطان "محمود " وخلال فترة حكم الايلخان" كيخاتو" تسرب الغش والتزييف الي سك العملة، فكانت النقود المضروبة من الذهب والفضة تخلط بالنحاس، وكذلك كان عيار[٢] سك النقود يختلف من ولاية لاخري.

ورغم أن "كيخاتو" أصدر مرسوماً بأن يقوم رسل المغول ومعهم الكتاب المسلمين بفحص عيار سك النقود في الولايات المختلفة، فإذا ذلك كان يتم من الناحية الشكلية دون محاسبةأحد ممن قاموا بتزييف النقود[٣].

ولما كان عيار السك يختلف من ولاية لأخري، كان من يأخذ معة مائة دينار لينفقها في بلد آخر، كان يخسر من هذا المبلغ ما يزيد علي عشرة دنانير .

ولما وقف السلطان " محمود " علي هذا الفساد في سك النقود قرر في سنة (٦٩٨هـ) عد إجراءات:-

أن تضرب السكة في جميع ولايات الدولة الإيلخانية من الذهب والفضة الخالصين(١) ويلاحظ أن النقود المضروبة كانت تتغير كلما تطورت الدولة وزاد

---

[١] رشيد الدين: تاريخ غاران خان ص٣٢٨.

[٢] العيار: كل ما تقدر بة الأشياء من كيل أووزن. ينظر انستاس الكرملي: مرجع سابق، ص٥١.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غاران خان ص٣١٩

سلطانها، فالنقود في أولي أيام حكم غاران، كان ينقش عليها إسم وألقاب السلطان بالخط الأويغوري، وكذلك بالخطوط الصينية والكوفية، وكان علي الوجه الأخر ينقش عليها الشهادتين .ونقش علي نقود المراحل التالية عبارة" الملك لله، والقرأن، غازان محمود" وفي الوجه الأخر منها نري الشهادتين [٢] وأستثني من شكل نظام سك العملة هذا في بداية الامر ولاية "جورجيا"المسيحية "ثم أمر أن يعمم ذلك في جميع الولايات، وإلا فإن النقد في جورجيا لن يتداول في أي بلد أخر .[٣]

أمر السلطان بتوحيد عيار سك النقودفي جميع الولايات الدولة، وان تضرب الدراهم متساوية الوزن ليتعامل بها.

أصدر قراراً يقضي بأنه إذا عثر علي نقود ذهبية وفضة مزيفة، في يد أحد الأشخاص فإنه يعتبر مجرماً يعاقب بالإعدام وحتي لايدعي أحداً أنه لا يعرف الذهب الخالص من المزيف علي هذا الشخص أن يعرضه علي الأخرين لمعرفة هل هو ذهب خالص أم مزيف أما الفضة فيمكن معرفة الخالص من المزيف منها عن طريق تحليلها بالزئبق[٤].

أمر السلطان " محمود " بسك عملة جديدة من أجود أنواع الذهب الخالص تزن كل قطعة واحدة منها مائة مثقال[٥] ونقش عليها إسمه بخطوط كل الولايات حتي يعرف الجميع أنها من ضربة، كما نقش عليها آيات القرآن الكريم وأسماء الأئمة

---

[١] خواندمير: حبيب السير،٣/١٧٤

[٢] د/ شيرين بياني، مرجع سابق،ص٣٢٨.

[٣] رشيد الدين: تاريخ غازان، ص٣٢١- ابن الفوطي: مصدر سابق، ص٤٩٨.

[٤] خواندمير: حبيب السير،٣/١٧٤

[٥] المثقال: هو أسم لما له ثقل سواء كبر أو صغر وغلب عرفة علي الصغير . ينظر: المقريزي: شذور العقود فئ ذكر النقود، ص١٧١

الإثني عشر[١]، وعلي سبيل الشهرة صرح السلطان قائلا " عندما ننعم علي أحد نعطية من تلك العملة الممتازة".[٢]

وقد ترتب علي تلك الإصلاحات في نظام سك العملة وسك عملة جديدة، أن صار النقد متساوياً في كل الولايات: واستراح الناس، وازدهرت التجارة، وأصبح التجار يحملون أنواع البضائع الي كل أنحاء الدولة الايلخانية.

من العرض السابق للاصلاحات المالية في عهد السلطان " محمود " يتبين لنا أنه شرع في إجراء إصلاحات علي ميادين مالية متعددة سواء كان ذلك في نظام العطاء، والنظام الضريبي، ومنع الربا وضبط حسابات الخزانة العامة، وتوحيد الأوزان والمكاييل، وإصلاح نظام سك العملة وسك عملة جديدة، وقد أثمرت تلك الاصلاحات وعم الرخاء عهد السلطان " محمود"

---

[١] يدل ذكر أسماء أئمة الشيعة لأول مرة علي السكة علي أهمية وازدهار المذهب الشيعي في هذا الوقت . ينظر داشيرين بياني مرجع سابق ص٣٢٩.

[٢] رشيد الدين: تاريخ غازان خان،ص٣٢٣.

المصادر والمراجع

أولا:- المصادر العربية والمعربة

١. ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج الملطي (ت ٦٨٥ه / ١٢٨٦م) : تاريخ الأزمة، ترجمة د / شادية توفيق حافظ، مراجعة د/ السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، ط أولي، ٢٠٠٧م.

٢. ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق (٧٢٣ه / ١٣٢٢م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، طبعة بغداد (١٣٥١ه /١٩٣٢م).

٣. ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ه / ١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بن أيوب، الجزء الرابع، تحقيق د/ حسنين ربيع، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٢م.

٤. أبو الفداء: إسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ه/ ١٣٣١م). : المختصر في أخبار البشر، ٢ مجلد، طبعة مكتبة المثني.

٥. البدليسي: شرف خان: كتاب شر فنامه، الجزء الثاني، ترجمة ل/ العربية / محمد علي عوني، راجعة مقدم له د/ يحي الخشاب، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م.

٦. الحميري: محمد بن عبد المنعم الحميري. كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.

٧. الجويني: عطا ملك (ت ٦٨١ه/١٢٨٢م) : تاريخ فاتح العالم، جهانكشاي، ٢ مجلد، ترجمة من الفارسية الى العربية د/ محمد التونجي، الطبعة الاولي، دمشق، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م.

٨. خواندمير: غياث الدين محمد بن همام الدين (ت ٩٤٢ه/١٥٣٥م) : دستور الوزراء، ترجمة وتعليق د/ حرب أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٩. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨١ه/١٢٨٢م) اثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

١٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ه/١٤١٨م).
صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، الجزء الرابع، طبعة القاهرة، ١٣٣٣ه/١٩١٤م.

١١. مجهول: حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق د/ يوسف عبد الهادي، طبعه أولي، الدار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

١٢. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ٣ أجزاء، ترجمها من اللاتينية الى الإنجليزية وليم مارسدن، وترجمها الى العربية/ عبد العزيز جاويد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ١٩٩٦م.

١٣. المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ه/١٤٤١م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، طبعة بولاق، ١٢٧٠م.
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول – القسم الثاني نشر د/ محمد مصطفي زيادة، ط٢، القاهرة، ١٩٥٦م.

كتاب شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق د/ محمد عبد الستار عثمان، ط أولي، القاهرة، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

١٤. الهمذاني: رشيد الدين بن فضل الله (ت ٧١٨ه/١٣١٨م)
أ. جامع التواريخ : تاريخ خلفاء جنكيزخان من أو كتاي قا آن الى تيمور قا آن، نقله الى العربية د/ فؤاد الصياد، راجعة د/ يحيي الخشاب دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

ب. جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة د/ فؤاد الصياد، الدار الثقافية للنشر، طبعة أولي، القاهرة، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.

ج. جامع التواريخ، تاريخ أبناء مولاكوخان من أباقا خان الى كيخاتو خان، ترجمة الأستاذ / صادق نشأت، د/ فؤاد الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٥. ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ه/١٢٢٨م). معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

ثانياً:- المصادر الفارسية

- خواندمير: غياث الدين محمد بن همام الدين (٩٤٢ه/١٥٣٥م).
- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، الجزء الثالث، طبعة طهران، ١٣٣٣ه.ش.
- وصاف: شرف الدين بن عبد الله بن فضل الله الشيرازي (ت ٧٣٠ه /١٣٢٩م).: تاريخ وصاف، طبعة بمباي، ١٢٦٩ه.
- ميرخواند: محمد بن خاوند شاه محمود ت(٩٠٣ه/١٤٩٧م).: روضة الصفا، جلد بنجم، لكهنو، ١٣٣٢ه/١٩١٥م.

ثالثاً :المراجع العربية والمعربة

إدوارد جرانفيل بروان: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي، نقله الى العربية د/ إبراهيم أمين الشواربي، طبعة مصر، ١٣٧٣ه/١٩٥٤م.

انستاس الكرملي:النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

حسن الأمين (الدكتور) المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، ط بيروت، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.

حسن الباشا (الدكتور) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، طبعة القاهرة، ١٩٨٩م

دورويتا كرافولسكي (الدكتوره) العربية وإيران، دراسات في التاريخ والأدب من المنظور الأيديولوجي، طبعة أولي، بيروت، ١٤١٣ه/١٩٩٣م.

شيرين بياني (الدكتوره) المغول التركيبه الدينية والسياسية، ترجمة/ سيف علـــي، طبعة بيروت، ٢٠١٣م.

عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتي قيـــام الدولـــة التيموريـــة، ترجمة د/ عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، الامارات، ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م.

عبد السلام فهمي (الدكتور) تاريخ الدولـــة المغوليـــة فـــي إيـــران، طبعـــة دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

فؤاد الصياد (الدكتور)مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين بن فضل الله الهمذاني، ط أولي، القاهرة، ١٣٨٦ه/١٩٦٧م.

محمد أحمد دهمان: معجم الالفاظ التاريخية في العصـــر المملـــوكي، طبعـــة دار الفكر، طبعة أولي، دمشق، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

هارولد لام:جنكيز خان وجحافل المغول، ترجمة / متري أمين، راجعة د/ زكـــي نجيب محمود، طبعة القاهرة، نيويورك، ١٩٦٢م.

هنتس:–المكاييل و الاوزان الإسلامية، ترجمة د/ زياد كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

رابعاً:– المراجع الأجنبية

1. Dvid Morgan:-
   Medieval persia, 1040- 1797, London, 1945.
2. Grousset, Rene:-
   L`Empire des steppes, paris, 1939.
3. Michail prawin:-
   the Mongol Empire its rise and legacy (trans) eden and cedor paul, 4 edition, Britain, 1951.